

تفسير البغوي

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ^ج كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ^ج
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ

(ولقد همت به وهم بها) والهم هو : المقاربة من الفعل من غير دخول فيه . فهمها :
عزمها على المعصية والزنا . وأما همه : فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : حل
الهميان وجلس منها مجلس الخائن . وعن مجاهد قال : حل سراويله وجعل يعالج ثيابه .
وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبیر ، والحسن . وقال الضحاك : جرى الشيطان
فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع
بينهما . قال أبو عبيد القاسم بن سلام : وقد أنكر قوم هذا القول ، والقول ما قال متقدمو
هذه الأمة ، وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء عليهم السلام من غير علم . وقال
السدي وابن إسحاق : لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت
تذكر له محاسن نفسه ، وتشوقه إلى نفسها ، فقالت : يا يوسف ، ما أحسن شعرك ! . قال :
هو أول ما ينتثر من جسدي . قالت : ما أحسن عينيك ! قال : هي أول ما تسيل على وجهي

في قبري . قالت : ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله . وقيل : إنها قالت : إن فراش
الحرير مبسوط ، فقم فاقض حاجتي . قال : إذا يذهب نصيبي من الجنة . فلم تزل تطمعه
وتدعوه إلى اللذة ، وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل ، وهي امرأة حسناء
جميلة ، حتى لان لها مما يرى من كلفها ، وهم بها ، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه
بالبرهان الذي ذكره . وزعم بعض المتأخرين : أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام
، وقال : تم الكلام عند قوله : (ولقد همت به) ثم ابتدأ الخبر عن يوسف عليه السلام
فقال : (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) على التقديم والتأخير ، أي : لولا أن رأى
برهان ربه لهم بها ، ولكنه رأى البرهان فلم يهم . وأنكره النحاة وقالوا : إن العرب لا تؤخر (
لولا) عن الفعل ، فلا تقول : لقد قمت لولا زيد ، [وهو يريد لولا زيد لقمت] . وقيل :
همت بيوسف أن يفرشها ، وهم بها يوسف أي : تمنى أن تكون له زوجة . وهذا التأويل
وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين يؤخذ عنهم الدين والعلم
. وقال بعضهم : إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر والصغائر تجوز
على الأنبياء عليهم السلام . روي أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج

من السجن وأقرت المرأة ، قال يوسف : (ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب) قال له

جبريل : ولا حين هممت بها يا يوسف ؟ فقال يوسف عند ذلك : (وما أبرئ نفسي)

الآية . وقال الحسن البصري : إن الله تعالى لم يذكر ذنوب الأنبياء عليهم السلام في القرآن

ليعيرهم ، ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم ، ولئلا يئس أحد من رحمته . وقيل :

إنه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة ، ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار

المعصية . وقيل : ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الإياس من المغفرة

والعفو . وقال بعض أهل الحقائق : الهم همان : هم ثابت ، وهو إذا كان معه عزم وعقد

ورضا ، مثل هم امرأة العزيز ، والعبد مأخوذ به ، وهم عارض وهو الخطرة ، وحديث

النفس من غير اختيار ولا عزم ، مثل هم يوسف عليه السلام ، فالعبد غير مأخوذ به ما

لم يتكلم أو يعمل . أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ، أنبأنا أبو طاهر محمد بن

محمد بن محمّش الزيايدي ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ، حدثنا أحمد بن

يوسف السلمي ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : حدثنا أبو

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قال الله عز وجل : إذا

تحدث عدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها ، فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ، ما لم يعملها ، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها " . قوله عز وجل : (لولا أن رأى برهان ربه) اختلفوا في ذلك البرهان : قال قتادة وأكثر المفسرين : إنه رأى صورة يعقوب وهو يقول له : يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء ! . وقال الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك : انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عليه السلام عاضا على أصبعه . وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : مثل له يعقوب عليه السلام فضرب يده في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله . وقال السدي : نودي يا يوسف ، توقعها ! إنما مثلك ما لم توقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق ، ومثلك إن توقعها مثله إذا مات ووقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك ما لم توقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ، ومثلك إن واقعها مثل الثور يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه . وعن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : (وهم بها) قال : حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته ، فإذا بكف قد بدت بينهما بلا معصم

ولا عضد مكتوب عليها (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) (

الانفطار - 11) ، فقام هاربا وقامت ، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهرت تلك

الكف مكتوبا عليها : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) (الإسراء - 32)

فقام هاربا وقامت ، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد ، فظهر ، ورأى تلك الكف

مكتوبا عليها : (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) (البقرة - 281) فقام هاربا وقامت ،

فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد ، فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام : أدرك

عبدى قبل أن يصيب الخطيئة ، فانحط جبريل عليه السلام عاضا على أصبعه ، يقول : يا

يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء . وروى أنه مسحه بجناحه

فخرجت شهوته من أنامله . وقال محمد بن كعب القرظي : رفع يوسف رأسه إلى سقف

البيت حين هم بها فرأى كتابا في حائط البيت : " لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء

سبيلا " . وروى عطية ، عن ابن عباس : في البرهان أنه رأى مثال الملك . وقال جعفر بن

محمد الصادق رضي الله عنهما : البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه

وبين ما يسخط الله عز وجل . وعن علي بن الحسين قال : كان في البيت صنم فقامت

المرأة وسترته بثوب ، فقال لها يوسف : لم فعلت هذا ؟ .ف قالت : استحييت منه أن يراني على المعصية .فقال يوسف : أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ؟ فأنا أحق أن أستحي من ربي ، وهرب .قوله عز وجل : (لولا أن رأى برهان ربه) جواب لولا محذوف ، تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية . (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) فالسوء : الإثم . وقيل : السوء القبيح . والفحشاء : الزنا . (إنه من عبادنا المخلصين) قرأ أهل المدينة ، والكوفة : (المخلصين) بفتح اللام حيث كان إذا لم يكن بعده ذكر الدين ، زاد الكوفيون " مخلصا " في سورة مريم ففتحوا .ومعنى (المخلصين) المختارين للنبوّة ، دليله : (إنا أخلصناهم بخالصة) (ص - 146) .وقرأ الآخرون بكسر اللام ، أي : المخلصين الله الطاعة والعبادة .